الكتاب المقدس النفيس

بقلم/ دفيد روبر

تأليف: بروس مكلارتي

عندما خلق الله الإنسان، لم يتركه دون ارشاد. بل أعطاه توجيهات كانت في البداية شفهية، ومن ثم كتابية. تسمى التوجيهات المكتوبة بالكتاب المقدس.[1] تلخص الرسالة إلى العبرانيين ١: ١ و٢ كيف وصل إلينا الكتاب المقدس: «الله بعد ما كلم الآباء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين». عندما تحمل الكتاب المقدس في يدك فأنت تحمل كتاب الله.

الكتاب المقدس من الله

تشهد الكثير من نصوص الكتاب المقدس لأصله الإلهي. ففي الأسفار الخمسة الأولى منه وردت عبارة : «قال الله لموسى» بتكرار (أنظر خروج ٣: ١٤). وشدد داود كاتب المزامير على ان «روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني» (٢ صموئيل ٢٣: ٢). وذُكر أيضاً في العهد القديم أن الرب تكلم عن يد عبيده الأنبياء (٢ ملوك ٢١: ١٠).

وعندما نأتي إلى العهد الجديد نقرأ عن وعود الله الذي سبق فوعد بها أنبيائه في الكتب المقدسة (أنظر رومية ١: ٢). عندما كتب بولس إلى أهل كورنثوس أكد لهم أن رسالته لم تكن «بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح القدس» (١ كورنثوس ٢: ١٣). وقال أيضاً في الرسالة نفسها: «... ما أكتبه إليكم أنه وصايا الرب» (١ كورنثوس ١٤: ٣٧). وكتب في رسالة أخرى بخصوص الإنجيل الذي كان يبشر به: «لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلّمْتُه. بل بإعلان يسوع المسيح» (غلاطية ١: ١٢). وأيضاً في رسالة أخرى تهلل قائلاً: «إذ تسلمتم منا كلمة خبر من الله قبلتموها لا ككلمة أُناس، بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله ...» (١ تسالونيكي ٢: ١٣).

في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس أعطى بولس تصريح مثالي عن أصل الكتاب المقدس الإلهي، إذ كتب: «كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح» (٣: ١٦ و١٧).

إثبات: تتميم النبوة

لدينا أسباب كثيرة لنؤمن بان الكتاب المقدس قد جاء من عند الله.[2] الإثبات القاطع هو تتميم النبوة. «لأنه لم تأتي نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢ بطرس ١: ٢١). نبوات ذات الاهتمام الخاص هي النبوات التي تختص بالمسيا. قال يسوع عن الأسفار المقدسة بانها «هي التي تشهد لي» (يوحنا ٥: ٣٩). وقال للأحد عشر والذين كانوا معهم في أورشليم: «أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير» (لوقا ٢٤: ٤٤).

إثبات: تأثير نفوذ الكتاب المقدس

وأيضاً التأثير الكبير للكتاب المقدس يثبت انه موحى به. في كتاب بعنوان «كسوف الإيمان» حاول هنري روجرس ان يتخيل عالم لم يأتي إليه المسيح وحيث لا يُقرأ الكتاب المقدس تخيل نفسه سائرا في مدن عظيمة. فرأى على يمينه قطعة أرض كبيرة بها أعشاب فقط. ما الذي قد يكون هناك لو كانت المسيحية والكتاب المقدس قد أتيا؟ لكان هناك مدرسة. وكان في يساره أيضاً مكان آخر كبير وخالي. ما الذي لم يكن موجودا؟ مستشفى السامري الصالح. لماذا؟ لأن يسوع لم يكن قد أتى ليحكي قصة السامري الصالح. وتخيل السيد روجرز مكتبات مفقودة ودار العناية بالأطفال ودار العناية بالمسنين وعطايا أخرى كثيرة لمدنيتنا.

كيف نعرف ان الكثير من هذه المنشآت أتت

---

[1] أخذ الكثير مما ورد في هذا الدرس (ماعدا النصوص المقدسة) من درس وضعه فارمن كيرلي بعنوان «الكتاب المقدس النفيس».

[2] يمكن إضافة إثباتات أخرى توضح ان الكتاب المقدس موحى به.

نتيجة لتأثير الكتاب المقدس واستخدامه؟ بدراسة التاريخ وفحص حضارات الماضي بغياب تأثيرات الكتاب المقدس. حتى اليوم وفي الأماكن التي يكون فيها تأثير الكتاب المقدس محدوداً عوضاً من أن يرى الناس المستشفيات، يرون المعاناة والموت. عوضاً عن دور العناية بالأطفال نرى أطفال مشردين وجائعين.

كتب الدكتور سميلي بلانتون مقالة في مجلة « موجز القارئ *Reader's Digest* » بعنوان « مفهوم الكتاب المقدس على مر الازمان ». اوضح بلانتون، وهو طبيب نفساني، بان الكتاب المقدس أعظم كتاب عن سلوك الإنسان تم تأليفه على الاطلاق. وكتب قائلاً: « لو استطاع الناس استيعاب ما به من رسالة لكان علينا نحن الأطباء النفسانيين ترك العمل والذهاب إلى صيد السمك ».

وقال طبيب نفساني آخر مشهور اسمه الدكتور جيمس ت، فيشر ما يلي:

> لو كان عليك أن تأخذ خلاصة جميع المقالات الارشادية التي كتبها علماء النفس والأطباء النفسانيون الأكثر كفاءة في موضوع الصحة العقلية – ولو كان عليك جمعها معاً وتنقيتها من الشوائب – ولو كان عليك اخذ هذه الجزيئات الخالصة من المعرفة العلمية المعبر عنها باختصار من قبل الموهوبون الأكثر كفاءة، ستحصل على تلخيص اجمالي للموعظة على الجبل غير موفية بالغرض وغير مكتملة.[٣]

يمكن اعطاء أمثلة كثيرة على الكيفية التي ساعد بها الكتاب المقدس أفراداً. قضى الكابتن هوارد روتلدج وهو ربان طائرة في السلاح البحري الأمريكي سبع سنوات في مخيم أسرى الحرب في شمال ڤيتنام. كان قد وُضع في سجن انفرادي يبلغ عرضه ٣ أقدام وطوله ٦ أقدام لمدة خمسة سنوات من اصل السنوات السبع. لقد كان ضحية أقصى درجات الوحشية الجسديةَ والعقلية. ولكي يحافظ على سلامة عقله اخترع بعض الألعاب في زنزانته للتسلية بها. كان يراقب فئران يبلغ طولها قدماً، وسحليات يبلغ طولها تسع بوصات تزحف حول قدميه. لعب مع الذباب والحشرات والعناكب. ولكي يقوي نفسه كان يحاول بجهد ان يتذكر النصوص المقدسة التي كان قد تعلمها في صباه. وعندما يغيب الحراس كان يتلو الآيات بصوت عال حتى يسمعه زملاءه السجناء. وقال فيما بعد: « لم أحلم قط بان مجرد التفكير في آية واحدة فقط يجعل اليوم بأكمله محتملاً ».

أي كتاب آخر يمكن أن يبارك حياة إنسان حتى يختار ان يحمله كجزء إضافي من حمله عندما يذهب للقتال؟ حمل كثير من الجنود نسخة من الكتاب المقدس إلى ميادين المعركة كلما أمكن لهم ذلك.

الكتاب المقدس هو اكثر الكتب نسخاً والأكثر طباعةً، والأكثر ترجمة، والأكثر إنتشاراً، والأكثر مبيعاً، والأكثر قراءة في العالم. قد تم ترجمة الكتاب المقدس (جزئياً أو كاملاً) إلى أكثر من ألف وسبع مئة لغة. حتى الأدب والكتابات الكلاسيكية لم تترجم إلى أكثر من ثلاثين أو أربعين لغة.

يوجد للكتاب المقدس تأثير فعال على الدولة التي أعيش فيها. عندما أعلن رولاند ريغن (أحد رؤساء الولايات المتحدة السابقين) عام ١٩٨٣ بانه « عام الكتاب المقدس » أصدرت مجلة « نيوزويك *Newsweek* » مقالة خاصة بعنوان « كيف بنى الكتاب المقدس أمريكا ». هكذا بدأت المقالة:

> حتى في وقت عيد الميلاد، يكون توقير الكتاب المقدس أكثر من قراءته. قد أثر على حضارة أمريكا وسياستها والحياة الإجتماعية فيها تأثيراً منقطع النظير. يكتشف علماء التاريخ الآن بان الكتاب المقدس ربما هو الوثيقة التي تأسست عليها أمريكا أكثر من دستور الدولة: مصدر أسطورة الولايات المتحدة القوية كأُمة مقدسة خاصة، وشعب دعاه الله ليأسس مجتمع نموذجي ومنارة للعالم.[٤]

لقد وجد رؤساء الولايات المتحدة الكتاب المقدس ذو قيمة دائماً في حياتهم الشخصية والمهنية كقادة. قال جورج واشنطن {أول رئيس للولايات المتحدة}: « من المستحيل أن ترأس العالم دون الله والكتاب المقدس ». لقد مدح كل من أبرهام لينكولن وودرو وويلسون وجيمس آدمس وآخرون من رؤساء أمريكا السابقين قيمة الكتاب المقدس لكل فرد وللمدنية. قال الرئيس السابق ريغن: « انها حقيقة لا جدل فيها بان كل المسائل المعقدة والرهيبة التي تواجهنا في البيت وفي العالم أجمع لها حلولها في هذا الكتاب الواحد ».

إثبات: عدم فناء الكتاب المقدس

إثبات آخر عن وحي الكتاب المقدس هو عدم فناءه. قال إشعياء النبي: « يبس العشب، ذبل الزهر، وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد » (إشعياء ٤٠: ٨). وأكّد يسوع قائلاً: « السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول » (لوقا ٢١: ٣٣). وقال بطرس ببساطة: « وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد... » (١ بطرس ١: ٢٥).

في محاولة لإفناء الكتاب المقدس أُحرقَ وحُرِمَ الناس منه وجُدِفَ عليه. تراوح أعضاءه من ديوقَليتانُس أمبراطور القرنَ الثالث إلى مادلين ماري أوهار[٥] ملحدة

---

[٣] مقتبس من جو بارنت.

[٤] مقتبس من مقالة بمجلة « نيوزويك Newsweek » الصادرة في ٢٧ نوفمبر ١٩٨٢، صفحة ٤٤.

[٥] مادلين ماري أوهار: هي مُلحدة أمريكية قضت حياتها في محاولة لتحطم كل علاقات أمريكا بالله. هي المسؤولة في المقام الأول عن سحب الصلاة من المدارس الحكومية في الولايات المتحدة.

القرن العشرين. أبغضه الكثيرون وحاربوه واعتبروه عدو الجنس البشري. هاجمه أباطرة روما. وحاول المتسلطون الهمجيون والوثنيون والشريرون القضاء عليه. استهزأ به النقاد والفلاسفة. ومع ذلك، بقى الكتاب المقدس خالداً.

يتحدث شعر بعنوان «سندان الحداد» عن عدم فناء الكتاب المقدس:

> مررتُ مساء الأمس بالقرب من باب الحداد،
> وسمعت السندان يقرع جرس المساء،
> ثم نظرت إلى الداخل فرأيت على الأرضية مطارق قديمة، بالية بسبب الضرب لمدة سنين من الزمان.
> فسألته: «كم كان لك من السندانات حتى تبلي وتسحق هذه المطارق إلى هذا الحد؟» قال «واحد فقط»، ثم بطرفة عين أضاف:
> «أنت تعلم أن السندان تبلي المطارق».
> ففكرت في نفسي ان سندان كلمة الله قد سقطت عليه ضربات الشكوكيين لمد دهور؛ ومع ذلك، رغم سماع الضربات الساقطة عليه، إلا أن السندان لم يتأثر، لقد مضت المطارق.

لم يوحي الله بالكتاب المقدس فحسب، بل حماه أيضاً بتدبير إلهي على مر السنين. ليست هناك ترجمة موحاة بها، ولكن عندما نحمل الكتاب المقدس بين أيدينا، يمكن ان نقول بكل تأكيد: «هذه كلمة الله!» انه بالحقيقة «الكتاب المقدس النفيس».

> كلام الرب كلام نقي كفضة مصفاة في بوطة في الأرض ممحوصة سبع مرات (مزمور ١٢: ٦).

> ناموس الرب كامل يرد النفس. شهادات الرب صادقة تصير الجاهل حكيماً. وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين. خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد (مزمور ١٩: ٧-٩).

> سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي (مزمور ١١٩: ١٠٥).

> صلى يسوع لله قائلاً: «قدسهم في حقك. كلامك هو حق» (يوحنا ١٧: ١٧).

> «لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته» (عبرانيين ٤: ١٢).

كيف نستجيب إلى هذه الحقيقة؟

ماذا يجب ان تكون استجابتي إلى هذه الحقيقة العظيمة أن الكتاب المقدس هو من عند الله؟ وماذا يجب أن تكون إستجابتك؟

كيف إستجاب الآخرون

لنرى كيف إستجاب الآخرون. أولاً: لاحظ سلوك الآخرين في الكتاب المقدس بما يختص بوحي الله. قال أيوب: «... أكثر من فريضتي ذخرت في قلبي كلام {فمه}» (أيوب ٢٣: ١٢). وقال كاتب المزمور بخصوص الإنسان البار: «لكن في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً» (مزمور ١: ٢). وقال كاتب المزمور أيضاً عن كلمة الله بانها «أشهى من الذهب والإبريز الكثير وأحلى من العسل وقطر الشّهاد» (مزمور ١٩: ١٠). وقال كاتب المزمور المئة والتاسع عشر: «بم يزكي الشاب طريقه؟ بحفظه إياه حسب كلامك»؛ «كم أحببت شريعتك! اليوم كله هي لهجتي» (مزمور ١١٩: ٩ و٩٧).

ماذا عن سلوك الآخرين منذ أيام الكتاب المقدس؟ قبل سنة ١٤٥٠م لم تكن آلة الطباعة في حيز الوجود. وكان يُنسخ الكتاب المقدس باليد. وكان على الذين يقومون بعملية النسخ أن يعملوا لساعات طويلة وبجهد كبير لكي يتم اصدار الكتاب المقدس. ونتيجة لذلك كان ثمن الكتاب المقدس في انجلترا في القرن الرابع عشر يعادل مُرَتّب سبع سنوات بالنسبة للعامل العادي. ومع ذلك كان يتم شراء نسخ الكتاب المقدس التي يتم نشرها في الحال.

تأمل في المثال التوضيحي التالي: في وقت أقرب إلى زماننا: عاش وليم مكفرسون قبل بضع أجيال. وكشاب في منتصف العشرينات من عمره، كان يعمل كخبير متفجرات. لقد تربى في أسرة مسيحية كانت تذهب إلى مدرسة الأحد عادة. ولكن معرفته وتقديره للكتاب المقدس غلب عليه طيش الشباب، والمتعة بملذات الدنيا.

وفي أحد الأيام بينما كان يعمل انفجر الديناميت بين يديه وفي وجهه. وبعدما عاد إلى وعيه بالمستشفى، وجد أنه قد فقد ذراعيه وبصره؛ وفقد كل احساس في وجهه. وبمرور الأيام لم يكن له ما يفعل غير ان يتألم ويرهق ويفكر، عاد بذاكرته إلى قصص الكتاب المقدس والنصوص المقدسة التي كان قد سمعها في طفولته. اشتهى ان يتذكرها بأكثر تحديد لكي تكون له عزاءاً في محنته. ولكنه لم يستطع قراءة الكتاب المقدس. كان ذلك قبل وقت تسجيل الكتاب المقدس على الأشرطة، ولم تكن له يدين ليقرأ بهما طريقة بريل {التي يستخدم فيها العميان أيديهم للقراءة بالتحسس على احرف بارزة}، فحاول ان يستخدم شفتيه ليقرأ بها بهذه الطريقة، ولكن لم يكن بشفتيه اي حس.

اكتشف اخيراً ان بامكانه ان يميز بمقدمة لسانه أحرف بريل (المؤلفة من نقاط بارزة)، فتعلم القراءة على طريقة بريل بمقدمة لسانه بالتدريج. وفي السنوات التي تلت، قرأ الكتاب المقدس من غلاف إلى غلاف لأكثر من عشرين مرة.

أصبح الناس على مر السنين مستعدين أن يموتوا من أجل الكتاب المقدس. عندما أصدر الامبراطور ديوقليتانُس أمراً بالتفتيش عن نسخ الكتاب المقدس

ليحرقها، تم تعذيب قادة الكنيسة لإجبارهم على تسليم النسخ التي لديهم. وقد مات الكثيرين من هؤلاء على أيدي القائمين بالتعذيب مفضلين ذلك على الكشف عن مكان الأسفار المقدسة المخفية. اجاب مسيحياً اسمه فيلكس على مطلب القائمين بالتعذيب قائلاً: «من الأفضل أن أُحرق أنا عوضاً عن الأسفار المقدسة».

شاب مسيحي آخر اسمه تيموثاوس كان قد تزوج من عروسته الجميلة لمدة ثلاثة أسابيع فقط، عندما قبض عليهما رجال ديوقليتانُس. تم تعذيب تيموثاوس لإجباره على الكشف عن المكان الذي يخبيء فيه الكتاب المقدس. وعندما رفض طلبهم رفضاً قاطعاً، تم تعذيب عروسته أمامه ولم يسلم أحدهما الأسفار المقدسة لتُحرق، فماتا على أيدي المعذبين.

تحدى وليم تيندال الدولة وسلطات الكنيسة بترجمة ونشر أول الكتب المقدسة المطبوعة بالإنجليزية. وعندما القي عليه القبض تم احراقه.

كيف يجب أن نستجيب؟

نعود الآن إلى أنفسنا: لو اردنا دفع ما يعادل مرتب سبع سنوات لكي نملك الكتاب المقدس، فكم نسخة يكون لنا؟ لو دُعينا ان نموت من أجله، فكم منا يقوم بهذه التضحية؟ لو كان علينا أن نقرأ الكتاب المقدس بمقدمة ألسنتنا، كم منا يمكن ان يقوم بذلك؟ هل نعتبره حقاً «الكتاب الالهي النفيس»؟

يمكن ان نختبر أنفسنا اختباراً بسيطاً. تذكر كيف بدأت المقالة في مجلة «نيوزويك *Newsweek*»: حتى في عيد ميلاد المسيح، يكون للكتاب المقدس توقيراً أكثر من قراءته. قال فورمان كيرلي رئيس تحرير «شفيع الإنجيل Gospel Advocate» مؤخراً: «هل نعتبر الكتاب المقدس نفيساً؟ قبل أن تقول نعم عليك ان تفكر بحرص. إن لم تأخذ وقتاً لقراءة الكتاب المقدس من الغلاف إلى الغلاف، فهذا يعني انه لا يعني لك الكثير».

يضع الكتاب المقدس التوكيد على قراءة ودراسة الأسفار المقدسة. قال كاتب المزمور: «خبأتُ كلامك في قلبي لكيلا أخطيء إليك» (مزمور ١١٩: ١١). قال لوقا عن اليهود الذين في بيرية: «وكان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي فقبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم هل هذه الأمور هكذا؟» (أعمال ١٧: ١١). وكتب يوحنا: «طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون أقوال النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها لأن الوقت قريب» (رؤيا ١: ٣).

بعد الحديث عن الحاجة إلى قراءة الكتاب المقدس من الغلاف إلى الغلاف، استمر كيرلي ليقول:

> قد تكون أعظم المأسي هي ان معظم الذين يدعون اليوم بانهم اصدقاءه وبانهم يحبونه يحطمونه بطريقة أكثر فعالية، وذلك بتجاهله وعدم الاعتناء به. مدنيتنا تترنح وتسقط بسبب عدم الاعتناء بالكتاب المقدس.

واستمر أيضاً قائلاً بان الأسر تتفكك بأعداد قياسية لأن الأزواج والزوجات لا يحبون الله وبعضهم البعض، ولا يحبون الكتاب المقدس. واختتم الحديث بالقول: «إذا كان الكتاب المقدس مرشد حضارتنا فأن عددا هائلاً من المشاكل التي تواجهنا ستختفي حالاً».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧